

كلمة شهرية بعنوان

طالبان

انتصار أم انصهار؟

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا اللّه عنه

لشهر صفر من عام ١٤٤٣ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فقد تابعنا مشاهد التمكين لجماعة طالبان في أفغانستان في ظرف عشرة أيام بعد انسحاب الجيش الأمريكي وحلفائه من البلاد، فكثر التساؤل عن حقيقة هذا التمكين ومستقبل هذه البلاد، وهل سنرى إمارة "إسلامية" ذات قوة واستقلالية في صنع القرار وخروج عن ربقة المجتمع الدولي كما كان يدندن حوله رموز القاعدة التي بايعت طالبان لعقود خلت؟ وهل ستكون طالبان نموذج الإمارة "الإسلامية" التي عملت القاعدة على صنعها والتمكين لها خلال هذه العقود العجاف، لاسيما وأن أسامة قد بايعها وكذا الظواهري بعده، وهل جاء الوقت الذي نستطيع فيه تقييم القاعدة من خلال هذا التمكين؟ أم كان التمكين عوضا ومقابلا للانصهار والبراءة من القاعدة وبناتها وقطع الوصائل بينهما، كما حصل مع جبهة النصرة وأمها القاعدة حتى صار الجولاني يتتبع فروع القاعدة في الشام كحراس الدين ويعمل على إفنائها؟ ... وللجواب على كل ذلك وإزاحة الستار عن حقيقة وصول طالبان إلى الحكم في مشهد توافقي مع المجتمع الدولي وبالخصوص أمريكا التي أنفقت ترليونات الدولارات في حربها في أفغانستان عقدنا هذه الكلمة الشهرية لنرى هل كان ذلك انتصارا وظفرا أم هو في حقيقته انصهار وذوبان؟

طبعا نحن نتكلم على حركة صوفية قبورية ذات عقيدة ماتريدية وتعصب مذهبي حنفي مقيت، فهذا الانتماء العقدي والمذهبي والسلوكي تظهره الحركة ولا تخفيه، ولا يحتاج أن نعرض هذا الانتماء على الميزان الشرعي في هذا المقام لأن كل مسلم يعرف حكم هذا الانتماء في دين الله تبارك وتعالى، كما أنه ليس هذا مقام الحديث على تاريخ الحركة لأزيد من عقدين بل

المقصود هو التعليق على الأحداث المتسارعة بعد استلام الحركة لمفاتيح قصر الرئاسة في كابل من يد الحارس الشخصي للرئيس الهارب.

نقول أنَّ ما وقع هو تسليمٌ لمقاليد الحكم من طرف الأمريكان لحركة طالبان وذلك بعد مفاوضات امتدت من سنة ٢٠١٣ إلى الوصول إلى اتفاق في 29 فبراير ٢٠٢٠ في الدوحة بقطر وسمي باتفاق السلام التي وقعها الملا عبد الغني برادر الذي خرج من سجون باكستان بوساطة أمريكية لهذا الغرض، ومثل هذه الاتفاقيات عبر التاريخ لها بنود يتم عرضها في الإعلام على أنها محل التوافق بين الطرفين وفي المقابل هناك بنود سرية يحتفظ بها كل طرف لنفسه ولا يبديها للرأي العام وهي التي تكون جوهر هذا الاتفاق، ولكن بعض العبارات الواردة في نصوص هذه الاتفاقيات أو التصرفات الحادثة للأطراف تكون فيها إشارات إلى حقيقة الاتفاق بين الطرفين.

ومن أهم البنود الظاهرة المتفق عليها في اتفاق السلام هو أن تقدم الحركة ضمانات وآليات تنفيذ تمنع من استخدام الأراضي الأفغانية من قبل أي جماعة أو فرد ضد أمن الولايات المتحدة وحلفائها، وهذا معناه أن طالبان التي رفضت تسليم أسامة قبل عشرين سنة وكانت مأوى القاعدة والحاضنة لها، أصبحت اليوم تتعهد بتسليم المطلوبين لها وطرد القاعدة من أراضيها وعدم السماح لها بالتواجد فضلا عن التأمين لها، وفي قراءة أخرى لهذا البند نقول أن هذا البند في عرف هذه المواثيق معناه العمل على تطهير البلاد من كل ما يشكل خطرا على أمن الولايات المتحدة وحلفها، وهي قتال طالبان للجماعات التي تم تصنيفها "بالمتطرفة" بالوكالة عن أمريكا بعد ترويض طالبان، فبعد أن كانت طالبان هي الحاضنة للقاعدة ستصبح هي من تقاتل القاعدة وهذا ما ستبديه الأيام القادمة، و هذا ما وقع مرار مع الحركات القتالية المنصهرة كالجيش الإسلامي في العراق ومجلس صحوة الأنبار وغيرها، ومعلوم أن تأسيس الصحوات كان من بنات أفكار الجنرال ديفيد بتريوس قائد القوات الأمريكية في العراق، ومثلها فصائل الجيش الحر في

سوريا، وآخر نسخة كانت هيئة تحرير الشام وقتالها لحراس الدين فرع القاعدة في الشام كنموذج ناجح لهذا التزاوج بين الغرب والحركات المنسلخة عن مبادئها فتم تصديره إلى أفغانستان .

ومما يدل بشكل واضح على انصهار الحركة في المجتمع الدولي ما جاء في أحد بنود الاتفاق ما نصه:" مع بدء المفاوضات بين الأفغان، ستبدأ الولايات المتحدة بالتواصل الدبلوماسي مع الأعضاء الآخرين بمجلس الأمن الدولي وأفغانستان لإزالة أفراد إمارة أفغانستان الإسلامية التي تعترف بها الولايات المتحدة كدولة والمعروفة باسم طالبان من قائمة العقوبات بهدف تحقيق ذلك بحلول ٢٩ مايو / أيار ٢٠٢٠، الذي يوافق ٦ شوال ١٤٤١ بالتقويم الهجري القمري.

وهذا البند الذي يتضمن إزالة العقوبات على طالبان ونزعها من قائمة الإرهاب واعتمادها كحكومة متوافقة مع المجتمع الدولي في مجلس الأمن، لا يكون في العرف الدولي إلا بعد التوافق بين طالبان والأمريكان على نظام الحكم في أفغانستان وإلزام الحركة بمشاركة جميع الأطراف في حكم البلاد ومن ثم الاعتراف بها كعضو في المجتمع الدولي الذي يسمح بإقامة حكم "إسلامي" كالقائم في جزيرة العرب، وعن قريب ستسمعون عن عضوية طالبان في الأمم المتحدة ... ولا شك أن كل مسلم يعلم حكم الجماعات أو الدول التي تدخل تحت مضلة الأمم المتحدة كما هو متقرر معلوم.

طبعا البعض قد يستنكر هذا ويقول كيف وطالبان في كل مناسبة تؤكد على أنها امارة إسلامية وأنها تحكم بما أنزل الله، فنقول كذلك هي تؤكد على أنها على مذهب أبي حنيفة أي مدرسة الرأي بل قامت باستتابة "السلفيين" والتعهد منهم على أن يكونوا على دين أبي حنيفة، وهذه المدرسة تستطيع تطويع وتخريج الأحكام التي هي على وفق دساتير الغرب بما يتوافق مع مدرسة الرأي، ويعرف هذا جيدا أهل الرأي في هذه المدرسة، فسوف ترى التحليل والتحريم بتخريجات وشطحات تنسب "للشريعة" كما قال عبد الله ابن

المبارك: «من نظر في كتاب الحيل لأبي حنيفة أحل ما حرم الله، وحرم ما أحل الله»[1].

ودائما نقول أنَّ الانحراف في أول الطريق يقود إلى الانحلال في آخرها، فنظرة طالبان الإقليمية وسعيها في إقامة مشروع وطني ضمن الأعراف "الباشتونية" تحت لافتة إسلامية مشوهة، أوصلها في آخر المطاف إلى الانصهار عن أكثر المبادئ على سلم المفاوضات والتنازلات، فمن يتابع طالبان قبل وبعد يشعر أنها أصيبت بانفصام عقدي وحركي فوسعت الضيق وحررت النساء وأصدرت الصفح والعفو العام فعصمت دماء العلمانيين والطواغيت والمشركين حتى يكونوا شركاءها في حكم البلاد ولن ترضى منها أمريكا بغير هذا.

قد تكون حركة طالبان قامت بمراجعات في السنوات التي كانت فيها بعيدة عن المشهد ... المراجعات التي في رؤيتها أنها لن تتمكن للوصول إلى الحكم إلا بها، ولعل التصريحات التي تطلقها هذه الأيام هي لتعزيز الثقة بتلك المراجعات، وهي رسائل للاطمئنان وطرد التوجس وتلميع الصورة الجديدة بعد انسلاخها من أثوابها ... التصريحات ترسلها إلى دول التحالف والجوار لتهدئة النفوس وطرد القلق ... وإن كان هذا في عرف طالبان مراجعات فهي في ميزان الشرع انسلاخ وانصهار ... نعم قد وصلت للحكم ولكن بعد الانصهار والذوبان فهل هذا هو الانتصار؟ كلا والله إن الانتصار هو الثبات على المبادئ والثوابت والأصول وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه طالبان ... كما جاء في الحديث: « يأتي النبي وليس معه أحد » ... الانتصار أن تلقى الله وأنت على الطريق المستقيم عاض على ملة إبراهيم مستمسك بالعروة الوثقى تسعى لنصرة الدين والدعوة إليه والتمكين له بقدر الجهد والطاقة ولا يكلف الله

[1] تاريخ بغداد ١٥/٥٥٨

نفسـا إلا وسـعها، ولـيس الانتصـار أن تقـايض بالـدين فـي سـبيل الملـك والسلطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.



